فاطمة حاسي

أَدنى من صرختين
أبعد من قهقهة !

شعر

منشورات بيت الشعر في المغرب

الكتاب : أدنى من صرختين أبعد من قهقهة !
المؤلفة: فاطمة حاسي
منشورات : بيت الشعر في المغرب
سلسلة : شعر
الطبعة الأولى (2017)
رقم الإيداع القانوني : 2016MO5377
ر.د.م.ك : 978-9954-9658-7-0
الطباعة: مطبعة البيضاوي،الرباط، هـ : 25 11 87 37 05

إهــداء

أبي
عُواءُ الْهَم
يَزْرَعُني حَرفًا
أَنبُتُ فيِ شَرايينِ اللُّغَة
أُثْمِرُ الأَرَقَ وَالقَصيدَةَ.

أُمِّي
لَو أَسْتَطيعُ
لَأَزَحْتُ هَذي الصَّخْرَة
لَكنِّي أَخْشَى
شُحوبَ المَاء
فيِ الوادِي.

سَأصْرُخ عاليًا
وَمِنْ ثُقْبِ ابْرَةٍ
سَأرْشُق العالمَ
بِالقَصائِد
وَالقهْقَهات !

أنَا لا أَكتُب

هيَ روحي تَحْتَرِقْ
فيَنثُرُ الحَرْفُ رَمادَها

عَلَى الوَرَقِ !

وَحيدةً كعَتبةٍ مهجورةٍ

1

وَحيدَةً
أَرْقُبُ العالَمَ مِنْ فَوْقٍ
أرْشُقُه بِالْأَسْئِلةِ
يَرْميني بِالعِصْيانِ

2

إلَى السَّماءِ أمُدُّ يَدي
أصَابِعي
وَهِي تَفُكُّ اشْتِباكاتِ الغُيوم
عَلِقَتْ بِسَحاباتٍ غاضِبَةٍ

3

تائِهَةً

أَقْتَفي أَثَري

فِي صَهيلِ ليْلٍ شارِدٍ

نَحْوها

تَجُرُّني الفَراشاتُ

يَرْصُدُني ضَوْءٌ خافِتٌ

مِنْ هُناك

أغوصُ فِيّ

وَمِنِّي تَبْرُقُ صَرْخَةٌ

تُهَشِّم أساريرَ الصَّباحِ

أتَتَبَّعُ ظِلِّي

لا أقْبِضُ عَلَيّ ..

«قَدْ يَخْذُلُك ظِلُّك

فتَزْدادُ نَصاعَة وَحْدَتِك»

4

أُطِلُّ منِّي عَلَيَّ
في الرُّوح عصافيرٌ
تُزقْزقُ لفَجْرٍ مَجْهولٍ
تَغْتَالنِي الأحْلامُ
وهِي تُثْمِرُ
في رَمادِ الذِّكْرياتِ
أَنْشَقُّ عن صَمتِي
أَصُبُّ نبْضِي
في جَسَد
تحْرُسهُ الأشْباح

5

الجِنِّياتُ وهُنَّ يرْقُصْنَ
على وَقْعِ أنْفاسِي
ارْتَطَمْنَ بِالمَرايا
أَتَشَظَّى كَغريبَةٍ
رَماها اللّيْلُ
على حَافَّة السُّؤالِ..

«مَن أنْت.. ؟
عَلامة اسْتِفْهام جُنَّت
حاصَرتِ العالَمَ
بنُقْطةٍ خارِج السَّطرِ؟ !»

6

لَوْ يُمْهلني الحُزنُ
سَأصير شَجرةً
للسَّماءِ أَمْنحُ حُلُمي
ولِلْعَصافيرِ
بَعْضًا مِن خَفَقاتِي
وإِذا ما حَلَّتِ العاصِفةُ
تعَرَّيْتُ منّي
ودَثَّرْتُ أُمْنياتِي..

7

لَسْتُ قلقةً

ولَسْتُ هادئة

إنِّي أَقتلِعُ

مِنْ حَلْقِ الوَقتِ

عَقْرباً

أُوقِفُ بِه

رَكْضًا مُتواصِلاً

لِلْعُمرِ.

8

أَربُتُ عَلى ظِلِّي كَي يَسْتقيمَ

يَعْوجُّ ظَهْري

بِضَرَباتِ الرِّيحِ

9

نَحْنُ وَحيدون
وَحيدون جداًّ
وهَذا العَالَمُ حَزينٌ
كَثيراً ما أَضْحَتْ
قَهقَهاتُه
نَحِيباً مَشْهورًا.

بَرّاقةٌ عَيْنُكَ أيُّها الْجوعُ

1

مَذْعورةً
تخْرُجُ الأفْواهُ
مِن شَرْنقَةِ الجوعِ
في عظامِ الجسَدِ
يَنبُتُ نَمْلٌ
يَروحُ ويَجيءُ
يَنْثُر قُشعْريرَةً
وهُوَ يَرْتَطِم
بانكِسارِ الحُلمِ.

2

إِلى حَتْفِهِم يَمْضِي الجِياعُ
بَعْدَما فَقَدُوا
ظِلالَهُمْ
في حُرُوبِ الهَويةِ.

3

يَتفَقَّدونَ أَسْنانَهم
تِلْك الَّتي اقْتلَعُوها
في لَحْظةِ مُواجَهةٍ
مَع الخَواءِ
على بُطونِهم
يَضعُون صَخرةً مشْدودَةً بإتقانٍ
كَي لا تُحْدِثَ أمْعاؤُهُم
ضَجيجاً
يوقِظ الجِيرانَ.

4

لا أَفْقهُ شَيئا في السِّياسَةِ
مَع ذَلكَ
كُلَّما اسْتعْصَت لُقْمَةٌ
الوُصولَ إلَى حَلْقي
صَرخْتُ بملْءِ قَهْري
مَن نَهبَ حُقولَ القَمْحِ ؟ !

5

فِي بَطْن نَمْلَة
أُفتِّشُ عَن بقَايا سُنبُلَةٍ
أَحْفِرُ عَميقًا
فِي أَحْشاء
كُلَّما مَزَّقتُهَا
لفَظَت أفْكاراً
مَوْشُومةً بِالدَّم

«لَم يَكُن فِي بَطْن النَّمْلَة
ما يَسْتدْعي التَّنقيبَ
لَوْ تركَتُها تَمْضي إلَى حال سَبيلِها
لَما ضَجَّت الْحُقول بِالصَّرخَات . ! «

6

الأيادي طَويلةٌ
ما أكْثرَها
تَمْتَدُّ
في شَوارعَ عامِرَة
بوُجوهٍ عابِسَة
بمَكْسوري الظُّهورِ
‹آمن عطا شي للّه›
...
بِماذا سَيجودُ وطَنٌ
في جُيوبِه
مُدنٌ تَأوي الغُرباءَ.. !؟

7

أَسْحَبُ خَيْطاً
مِنْ ظلامِ ذاكِرةٍ
مُثْقَلة بالأَنين
لأخيطَ تُراباً
يَكْتُم نحِيبَ المقْموعينَ.

« مِن بَيْنِ أَصابِعي
يَتَسَرَّب نَهْرٌ
لا يَرْوي
عَطَش العَصافيرِ.»

يغْمِزُ للغَيمةِ ..ولا تُمْطر !

1

أَسْتظلُّ بِظِلِّكَ
ولَم أنْتبِه
أنَّ الضَّوْءِ المُنْكَسِر
ظِلُّه لاَ يَسْتقِيم

النَّمْلَةُ التِي تَسْري فيِ عُروقِكَ
تَلْعَق هُدْنَتَك
وتُدغْدِغ ما تَبَّقى
مِن شُرودِ الأَمْسِ
يَأسُك يقُودُك إلَى دُروبٍ مظلمَةٍ
وحْدَها إرادَتُك
تَبْعَث الضَّوْءِ فيِ فَم الهَزيمةِ.

ثَبِّت أَصابِعَكَ
وأَنْت تَرمِي المَرايا
بمَلامِحَ شارِدة

ما عُدْت أدْري
مِن أَيْن تَأتي هَذِه القَهْقَهات
المَشْحونَةُ بالصُّراخ .. !

«لَم يَكُن واضحًا بمَا يَكفي
الضَّوءُ المُتَدَفِّقُ
منْ جَناحَي الفَراشَةِ..»

2

وَنَحْن نُودِّعُ بعْضَنا

لَم نَتصَافح بِشَكْلٍ لائِقٍ

وَ إلا

لما بَكى العالَمُ

كُلَّ هذه الدِّماء !

لَا تُعَانِد الحَنِينَ

دَلِّلْه

حَتَّى لا يُداسَ قلبُكَ

في أَحلامٍ مَنذورةٍ للتِّيه

لا تَبْكِ

في قَعْرِ الحَسْرةِ دُموعٌ مُتجمِّدةٌ

وقصصٌ مُتَشابِهةٌ

لا تُقهْقه ملْءَ شِدقَيْكَ

كيْ لا تتيَبَّسَ ملامِحُكَ

والصَّدْمَةُ تُفْشي بِسرِّها

على مَسامِعِكَ

لا تَقف علَى عتبَة الشَّكْوى

وتَنثُر قَصائدَ

حُروفُها متَوَرِّمةٌ

غُصْ فيكَ

احْك

ودعْ الياسَمينَ

يُزَيِّن عنُق الكَلمَات

لا تعَذِّبِ القَصائِد حَتَّى مَطلَعِ الفَجْر

ارْم أفْكَارَكَ

في جُبَّة ليْلٍ يَحْرسُه الغاَوُون

واسْتَرِح

على كَتفِ المَعْنَى.

«يرْتَدي وَجْهَه

تَسْقُطُ الأَقْنِعَة»

3

تَلْعَنُ الصَّمْتَ
أَنتَ الخَبيرُ بمَتاهاتِه المُلْتَوِيةِ

إِذا ما التَقَينَا
تُرَاها سَتُمْطِرُ
في وَطَنٍ
مُرْهَق
مِن النَّكَبَاتِ ؟ !

«المَطرُ
ذاكرةٌ
لِقلوبٍ
مُتْعبةٍ.»

اللَّيْل أرْجُوحةُ الأَرَقِ

1

أَهَذي
الحَرْفُ يُعَدِّلُ هِندامَهُ
لِيُطِلَّ مِن عُيونِ اللَّيْلِ

لَيْس غَريباً
أَن يعْبثَ الأَرَقُ بِجُفونِ اللَّيْل
فيَتعثَّر النَّومُ بصَلابَةِ الرُّموشِ

قُربَ اللَّيْلِ أجْلسُ
من شَجرةِ الصَّمْتِ
أَقْطفُ فاكِهةَ التِّيه
لَمْ تُمْهلْني النَّجْماتُ
وقْتاً كافياً
لأُلَمْلِمَ صُراخَ الوَرْداتِ.

أيُّها اللَّيْلُ انْتفِض
لأَحْظى بهُدْنةٍ عَلى أعْتابِك

« اللّيْلُ
صَمْتٌ يحْبو عَلى مَهلٍ
يجْمع بعِنايَةٍ
أزْرارَ الأَرَقِ
لتَلْمَع عَلى صَدرِ
قمَرٍ عابِسٍ.»

2

وَأَنا أَصْحَبُ النَّوْمَ
إلَى فرَاشٍ باردٍ
هَرَب
وظَلَّ فَمي
يَرتَعِدُ بالتَّمْتَماتِ.

هَزائِمي
كُلَّما عَظُمَت
منَحَت اللَّيلَ
قَصائِدَ
بعُيونٍ متَوَرِّمةٍ

« اللَّيْلُ
صَديقٌ مِزاجي
قدْ يصْرُخُ فيِ وجْهكَ
وأَنْتَ تَسْتَعِدُّ بِكامِلِ أَرقِكَ
لِلضَّحِكِ فيِ وجْهِه..»

3

اللَّيلُ لا يُقَهْقهُ
إلاَّ نادِراً
يَخْشى أنْ يفْقد أَسْنانَهُ
إذَا ما ارْتطَمَ بأَحْلامٍ مَيِّتةٍ..

في اللَّيلِ لا أكْتبُ
أنثُرُ رَمادَ نهَاراتٍ مُتْعَبةٍ
علَى سَرير
يُحاذي نَافذَةً
تُطلُّ على الظَّلام
النَّجْماتُ العابثَةُ باحْتراقاتِ الحنينِ
تشْتعِلُ علَى مَقْرُبةٍ
منْ ضَجيجِ النَّازحينَ.

لا شَيْءَ يُهَدِّئُني
تبوُحُ لي العَصافيرُ
بِسِرٍّ يوقِظُ التُّرابَ
في خُلْوَتي
تنْبَني مَدينَةٌ
سُرعانَ ما تَتهَدَّم
بِصَرْخَةٍ مِن هُناك

«كيْف أهْدأُ ..
ولماذا..
واللَّيْلُ شاهدُ إثْباتٍ
عمَّا يحْدُثُ
مِن نَكباتٍ..؟!»

4

فِي تَوَهاني
أَصْنَعِ لي جَناحَيْنِ
وَأَطِيرُ
بِجانبِي عبَّاسُ بْنُ فَرْناس
يُمَسِّد ظَهْر حُلْمٍ غافٍ
ويَنام..

...

...
كُلَّما اسْتفاقَت تَنهيدَةٌ مِن غَفوَتِها
أَدْرَكْتُ أنِّي..
ما زِلْتُ فِي مَكاني..

« كُلَّ مَساء
يجْتَرُّني اللَّيْلُ
عَلى مَسامِع
نَجْمات حَزيناتٍ »

أدْنى مِن صَرْخَتين..
أبْعَدَ مِن قَهْقهةٍ !

1

«لِماذا يا أبي
وأنا أصْرُخُ
تَرْميني بِصَندلٍ بلاسْتيكِي
وتُطالِبُنِي
بِمَزيدٍ مِن المَشيِ ؟»

«مَلِّي تْطيح البْقرَة
يكَثرو جْناوَة »

وأنْتِ يا عَروسَةَ المَوتِ
وَحيدةً
عَزْلاءَ
كَثُرَ الشُّعَراءُ
وعلَى أمْركِ اخْتلَفوا.

مَصلوبٌ الوَطنُ
علَى سُنَّة الرَّفضِ والصَّمتِ

ثَمَّةَ طائِرٌ

بِجناحَيْن كَبيرينِ

يَكْسُو السَّماءَ

بالعَويلِ

كُلَّما اقترَب

مِن جَنَّة

لا يَسْكُنُها الأنبياءُ

احْتَرقَ

حَوْلَ أشْجارِ الدِّفْلى

تُشيِّعُه الريحُ

في جَنازة

يَحْضُرها الغِرْبانُ

«على غُصْنِ اللَّيْمونِ

تَغْفو فراشةٌ

تَعِبتْ

وهِي تصُدُّ لِوَحدِها

قُبُلاتِ الذُّبابِ.»

فِي تُبَّان الوَطنِ تَخْتبِئُ حَقيقةٌ ما !

القصائِدُ الخارِجةُ مِن بَطنِ الحَرْبِ
تقْطُر دمًا
تُصَفِّرُ في الخَواء
تَسْتلقي مُتْعَبةً في مَمَرَّات الخذلانِ
الحرفُ القادمُ مِنْ أقْصى المَعْركةِ
يُبادِلُ الصَّمْتَ بالرَّصاصِ
وَجْهُ المَوْتِ مُمْتلئٌ
عَيْناهُ زائغتانِ
يلتقطُ براعِمَ الياسَمينِ
وَيَرحَلُ
تاركًا لنا
وَطناً
يَلْطُمُ التَّاريخَ بِدمِ الشُّهداءِ.

إلَى أيْن نَمْضي
وما كُلُّ هَذه الْفَوضى
شاهرةً أنْيابَها
تَغْرِزُها في عَظْم الآه ؟ !

« لِحُزيرانَ رائحَةٌ عَتيقةٌ
مُوغَلةٌ في حُنجرةِ الذاكِرةِ
كلَّما عَطسَ
فاحَ الحُزن
مِنْ أنْفِ التَّاريخِ ! »

2

«هَذا الشَّيْبُ فِي رُموشِكَ

يا أَبي
أَشْبهُ بِقصيدَة عارية
وَسط مَجازٍ مُتَشَظٍّ»

علَى ساحلٍ بَعيدٍ
ارْتَمى ما تَبَقَّى
من ظِلِّكَ
أَيُّها التَّاريخ
شاحِبَةٌ أَنْفاسُكَ
مَسْكونَةٌ بوَجَعِ الهزيمَةِ
«ايلانْ»
صَمْتُكَ أَشْعَل حُرقَةً
فِي قَصائِدَ
قُلوبُها تَوَرَّمت
بِتَوالِي الضَّرباتِ.

يُحرِجُني هَذا المسَاء

لا وَرْدةَ في يَدي

أُهْديها لَك

في قَلْبِي قَصائِد مُتَوتِّرةٌ

ما زِلْتُ أربتُ عَلى أكْتافِها

كَي أؤجِّل النِّهايةَ.

*إلى أبي *

« الوطَنُ قَصيدةٌ

عَلى صَدْرِها

يَنْمَسِخُ الحَرفُ

دَمًا.. ! »

3

«انْهضْ يا أبِي ..انْهَض
واحْذَر
أَنْ تَتعَثَّرَ بِجِلْبابِكَ
فِي كُلِّ مَرَّة
يُحْدثُ سُقوطُكَ
صَوتاً
يُشْبِه الفَرقَعَة»

لا تَضَع نِيَّتكَ فِي عُكَّازِكَ
لَسْتَ أعْمى
احْرُث العَتَمَةَ
وأنْتَ تَتفَرَّسُ أطْيافَ القادِمينَ
افْشِ صَرْختَكَ فِي عِظامِ الرِّيحِ
لا تتَراجَع
خَلْفَكَ تاريخٌ يَدْفِن وَجْههُ
فِي مَرايا المَخْذولينَ.

اضْرِب بِعَصاك الذُّل
يَطْلعُ الياسَمينُ
مِن شُقوقِ الصَّرخاتِ.

خَذلَكَ عُكازُكَ
وهُو يَقودُكَ كَأعْمى
إلَى مَوْت في البَراري
وَحيداً كُنتَ
مُحاصَراً بِاللَّيلِ
مُكَفَّنًا بِالرَّمْلِ
ببِذْلتِكَ الخَضْراءَ المُلطَّخة بِالدَّم
(....)
هَزمْتَ المَوْتَ يا أبِي
وَهزَمَتْكَ سَنابِلُ القَمْحِ !

« شَرَّدَتْنا الوِجْهاتُ يا أَبِي
كنْتَ وِجْهَتي
ضَيَّعْتَ وِجْهَتَكَ
وتُهْتُ بَعْدكَ
في ضَوْضاءِ الاحْتِمالات.»

4

«أبي
لا تُعدِّل طاقيَتك
سَتَسْقُطُ عَن رأْسكَ
وأَنتَ تنْحَني مُجدَّدا
لِجِنِّياتِ المساءِ»

قُلْ شَيئًا
وأَنْتَ تَتأمَّل بِعينيْنِ حائِرتَينِ
رقْصَة العالم
عَلى إيقاعِ الحُروفِ
فِي مُوسيقى صاخِبَة
تتَكَسَّرُ الحَياةُ أشْلاءَ
يَطْلعُ المَوْتُ صارِخاً
مِن ضُلوعِ العتَمةِ

« كُلُّ هذا الصُّراخِ
والعالَمُ أصَم
يَدُقُّ الطُّبولَ
وَيرقُصُ دونَ قَدمَين»

5

«فِي لِحْيَتِكَ المُجعَّدة
يا أَبي..
صَبيَةٌ ناعِمَةٌ
وَرَصاصَةٌ فاسِدَةٌ .. !

شَيءٌ ما
عالقٌ فِي حَلق القَصيدةِ
أُميلُها نَحْو الأَسْفلِ
لِينْزلِق ذاكَ الشَّيءُ
اكتَشَفتُ أنَّ العَالمَ
وَهُو يبْصُقُ مِن فَوق
عَلى جَحيم لا يَهْدأ
أسْقَط أسْنانَهُ
تَبعْثَرت..
والتَصَقت بأَفْواهٍ فاغِرةٍ !

« هَذا النَّمْلُ فِي رَأسِي لا يَهْدأ

كَيْفَ لَمْ يَهتَدِ بَعْد

إلَى أثَرِ الصَّمْتِ

عَلى أحْلامٍ غاضِبَةٍ ؟! »

6

يا اللّه

هَذا الحِمْلُ ثَقيلٌ جِداً

وَرَصيدي مِنَ الحِبْرِ

لاَ يُخَوِّلُ لي

مَزيداً مِن الصُّراخِ.

فِي جُمجُمَةِ الوَطَن تلْمَع عَيْنُ غِياب!

غِيابُكَ
يُهْدِيني حُزنًا
أُداريه بِابتِسامَةٍ مُزيَّفةٍ
سُرعانَ ما تَتَكَشفِ
فَيتعَرَّى وَجَعِي..

أيُّهَا المُسافِرُ بِلا وِجْهةٍ
يَسْكُنُكَ تيهُ العنادِ
غُيومُ العشِق حُبْلى
تَتوكَّأُ عليَها
فَأَتَهاطَلُ أنا شِعْرا ونَثْرا.

فِي سَماءِ الوطَنِ نَجْمةُ حَنينٍ
أَرْضُهُ قاحِلَةٌ
أَرضُ الوَطنِ
علَى خِصْرِها
تُعْدَم زِياراتُ السَّلامِ.

أَخْطَأَ الحُبُّ سَبيلَهُ
يوْمَ صافَحَ عَن حُسْنِ نِيَّةٍ
يَد السَّرابِ
أَضاعَ فِي زَحْمَةِ الوُعودِ
بَريقَهُ
لِيَنْكَسِرَ مَهْزومًا
أَمامَ مِرْآةِ الغِيابِ
أَشْلاؤهُ،
تَنثُرُها مَواسِمُ الأَعْيادِ
تُحَدِّقُ العُيونُ للغدِ بِأَمَلٍ
والأَمَلُ يُطْفِئُ شَمْعَتَهُ مَا بَعْدَ القَرْنِ
ولا يَكْبُر..
لا يَكْبُر !

يَتَعَكَّزُ الزَّمَنُ عَلى ظِلِّ حِكايَةٍ

ظِلُّ الحكايَة أَعْرَج

يَجُرُّ القَهْرُ الصَّيحاتَ مِن شَعْرهَا

تَسْقُطُ أَرْضًا

يَدوسُها الصَّمْتُ

يَمْضي..

وعَلى صَدرِهِ

قُنبُلَةٌ انتِحارِيَةٌ !

أَعْبُرُ المَداءاتِ حُبْلى بِالأَسْئِلَةِ

«لْغَايبْ حْجتُو مْعاه»

ماذا أَفْعَل

وقَدْ تَيَبَّسَتْ شَقائِقُ النُّعْمانِ

في مُلوحَة الدَّمْعِ

أيْنَ الوجْهَة

ومَن عَلَّمَ الغيابَ

الغَوْصَ في غُموضِ

البَياضِ ..؟

« أُربِّي الصَّبر
يُرَبِّيني الانْتِظارُ »

الوَجَعُ
مَوْتٌ بَطِيءٌ
يَحْفِرُ بِصَمْتٍ
نُدوبًا
فِي الذَّاكِرةِ.

الشَّوقُ،

الابْنُ البِكرُ للغِيابِ !

الحَنينُ
أنْ يَشُقَّ قَلبُكَ
صَدْرَ اللَّيلِ
باحثاً عَنْ
نَجْمَةٍ ضاحِكةٍ
يُرسِلُها
إلى هُناكَ !

حبيبي
غِيابُكَ
عُزوفُ سَحابةٍ عَن الابْتِسامِ
جُرْحٌ يَرتَجِف
كُلَّما اقتَرَبَ
مِن صَحْوَةِ السُّؤالِ..
غِيابُكَ
وطَنٌ عاقِرٌ
وقَصيدَةٌ ثَكْلى.

حَبيبي
أتَوضَّأُ مِن شَهْدِ شَفتَيْكَ
وفي عَيْنَيْكَ
أُقيمُ خاشِعةً
صَلاة الهُيام
يَؤمُّني ابْنُ عَربي
"الحُبُّ ديني.. الحُبُّ إيماني"
وأشْهدُ أنَّكَ ناري وَجَنَّتي
خَيْبَتِي وانْتِصارِي

أُحبُّكَ

وسَوْسَنُ العُمرِ

يزْهرُ في مَشاتِلِ لُقْياكَ

أُفَتِّشُ جِلْدي

وَفي دَمي

أَتَحَسَّسُ نَبْضَ هَواكَ

أُحبُّكَ

أنا الشَّريدَةُ

في مَوْطنِ غيابِكَ

أَوْجدْني تَجدْكَ

وانْفُضْ عَنْكَ اسْتِسْلامَكَ

تُشْرِقُ وَطنًا

باسْمِ الصُّمودِ يَتَجَلَّى

أُحِبُّكَ

وَالصَّمْتُ يُوَهْوِهُ

فِي سَديمِ الأَمَاني

يَدُ الكلِمَةِ تَحْلُبُ أَثْداءَ المَعاني

ترْتَوي القَصائِدُ

يَنْخَطِفُ لَوْنُها

تَتَمَزَّقُ أَنْفاسُها

والفَراهيدي يُحاصِرُها

فِي زاوِيةِ القَوافِي

" تَعَرَّيْ أيَّتُها القَصائِدُ

لأَغْرِزَ فيكِ

وَشْمَ آهاتي "

1

كُنْ هَويةَ الياسَمينِ
لأَعْتَنقَكَ
وأَقْتَلِعَ منْ عُمْري
نُدُوبَ الأَحْزانِ .

2

اعْقدْ قِرانَكَ عَلى غُرْبَتِي
أُبْعَثُ مِنْ نَزيفِ الوَطَنِ.

3

قَلْبِي
عَلَى إيقاعِ نَبْضكَ
يَنْبِضُ.

4

قُلْ لي..
كَيْفَ أَسْتَطيبُ
مَكانًا
لاَ تُعَطِّرُهُ
أَنْفاسُكَ ؟!

ثَرْثَراتٌ فَوْقَ الْجِراحِ

«مِنْ دَهاليزِ خِذْلانِكَ
يَسْطَعُ وَطَنٌ أَعْمَى»

1

كُلَّمَا التَقَى فُضولي بِصَمْتِكَ
تَفَتَّحَتِ القَصائِدُ
علَى مَجازاتٍ غامِضَةٍ

2

يَنْظُرُ كَثيرًا إلَى المِرْآةِ
يَتَحَسَّسُ مَلامِحَهُ
الَّتِي دَهَسَتْها دَهْشَةُ النِّهايَةِ

3

يَدُكَ

هذه المَرْشوشَةُ

بعطْرِ مَساءات بارِدَة

كُلَّما اقْتَرَبَت منِّي

أَحْرَقَتْ بَعْضًا

مِنْ خُطُواتِ الحَنينِ

4

الضَّوْءُ المُنْبَعِثُ مِنْ قَصيدَتِكَ

أُصيبَ بِالْعَمى

وَهُو يَقودُ المعْنَى

إِلَى ظِلٍّ

رَحَلَ عَنْ صاحِبِهِ !

5

انْفُضْ عَنْكَ وَساوِسَكَ

كَيْ يَسْتَقيمَ ظِلُّكَ

والشَّمسُ تَرْميكَ

بِتَحْديقاتِها.

6

لماذا

وَأَنا أَصْنَعُ منَ الياسَمينِ عِقْدًا

يَخونُني ظِلُّكَ

فَيُمْسي دَمًا

عَلى كَفِّي؟!

7

صِرْتُ هَشَّةً
وَأَنا أَربتُ عَلى وَطَنٍ
أَضاعَ نَبْضَهُ
في حُمَّى اللَّغْطِ وَالعَويلِ.

8

بَرْصاءَ صارَتْ
يَدُ العالَم
وَهِيَ تُمَسِّدُ
صُدورَ جَرْحَى الحُبِّ !

«أَتْرُكُ قَلْبي يَصْرُخُ كَما يَشاءُ
فِي اللَّيْلِ أُحاصِرُهُ
مِنْ صَمْته
أَعْرِفُ ملامِحَ قَصيدَتي »

1

اللَّيْلُ الَّذي رَبَّتَ عَلَى قَلْبَيْنَا
تَيَبَّسَتْ ذراعُهُ
وَهُوَ يَرُشُّ زَهْرَ الْيَاَسمينِ
عَلَى أَوْطانٍ
مَا عَادَتْ تَنْتَبِهُ لِلْقَمَر.

2

الحُزْنُ ذو العَيْنَينِ السَّوْداوَينِ
يَتَضَوَّرُ شوْقًا
نَحْوَ غَلَياني
يُسَدِّدُ رَصاصاتٍ مُرْبِكَةٍ .

3

بَعْضٌ منِّي
سَيَعُضُّ الذّاكِرَة
علَى مَرْأى مِنْ رَحيلٍ
بَعْضي الآخَرَ/ بَعْضِي الكَثيرَ
سَيُمارِسُ المَوْتَ
بِشَهادَتَيْن
وَصَلاةِ غَائِب.

4

كَيْفَ نُقْنِعُ الخَريفَ
يا صَديقي
أَنْ يَتَباطَأَ في مِشْيَتِه
ولَا يُلَوِّحُ لِلْعاصِفَةِ ؟!

«يَدِي مُوغَلَةٌ
فِي رَمادِ الحَرائِقِ»

1

اللَّيْلُ الَّذي تَسَلَّلَ
مِنْ عُنُقِ امْرَأةٍ شارِدَةٍ
أَثْمَرَ زِنْبَقَةً
فِي جَسَدِ القَصيدَةِ.

2

أَطْرُقُ قَلْبي بِعَصَبِيَّةٍ واضِحَةٍ
يُغْلِقُ البَابَ فِي وَجْهِي
بِهُدوءٍ تَامٍّ.

3

تِلْكَ الصَّرْخَةُ
أَحْمِلُهَا فِي قَلْبِي
مَعَ ذَلِكَ
يوجِعُنِي ظَهْرِي بِاسْتِمْرَارٍ !

الحُزْنُ كُلُّهُ
يَتَطَلَّعُ نَحْوِي !

لَسْتُ هادئَةً

إنْ صَرَّحْتُ بِذَلكَ

ظَلَمْتُ أَصابِعِي المُرْتَعِشَةَ

وَأَشْعَلْتُ ثَوْرَةً

في صَدَى لَيْل

مَا إنْ يَضْحَكُ

تَغْتالُهُ

شَهْقَةُ الصَّرَخاتِ !

الحُزْنُ الَّذِي يَقودُني إِلَيّ
أَعْمَى
يُمْسِكُنِي مِنْ قَلَقِي
لِنَعْبُرَ ضَجيجَ الانْتِظارِ !

سَليلَةُ الحُزْنِ أنَا
مُذْ رَمَتْنِي السَّماءُ
بِتيهِهَا
نَذَرْتُ حَرْفِي
لِصَمْتِ الأُمْسِياتِ .

الحُزْنُ الطَّالِعُ مِنْ ضِلْعِ اليَاسَمينِ
يَرْتَدي حُمْرَةَ الْبَراعِمِ
يَسْقُطُ تِباعًا
فِي وَطَنٍ
يُلَوِّحُ لَهُ العيدُ مِنْ بَعيدٍ
أَنْ عُذْرًا
.. تَعَثَّرْتُ بِالشَّهيدِ.

السُّؤالُ الَّذي عانَدَ فِكْرَةَ الشَّاعِرِ
حاصَرَ الحُبَّ في مَمَرّاتِ القَصيدَةِ
انْتَحَرَ الشَّاعِرُ
واخْتَنَقَ الحَبْلُ بِغُموضِ المَعْنَى !

***إلى روح الشاعر**

عبد القادر حاوي*

لاَ أَحْلُمُ بِتَغْيِيرِ العَالَم
أَصابِعِي وَهِيَ تَكْتُبُ
أُمَرِّنُها جَيِّدًا عَلَى المُراوَغَة
أَخْشَى أَنْ تَصْطادَني صَرْخَةٌ مَا
وَأَنَا أَرْشُقُ القَصائِدَ
بِعَويلِ الخَيْباتِ.

«لَسْتُ أَنا
مَنْ عَلَّقَ نَجْماتِ الصِّدْقِ
علَى قُمْصانِ الْكَذِبِ..»

كُلَّمَا هَمَمْتُ بِشَنْقِ الحُزْنِ
تَيَبَّسَتْ يَدايْ.

فِي كُلِّ مَرَّة
يَحْفِرُ الحُزْنُ
ثُقْبًا
فِي صَدْرِي
يُطِلُّ مِنْهُ
عَلَى ضَحاياه

أُدَرِّبُ الحُزنَ عَلى التَّحْليقِ بَعيدًا
وَنَسيتُ أَنَّ جَناحَيْهِ
عَالِقانِ فِي صَدْرِي.

« عَلَيْنا أَنْ لَا نَخْشَى الحُزْنَ
وَهُوَ يَهْوِي بِفَأْسِه
عَلَى شُجَيْراتِ أَنْفاسِنا
إِنَّما يَقْتَلِعُ زَفَراتٍ خامِلَةٍ
مِنْ عُشٍّ ذابِلٍ»

جُذاذاتٌ غاضِبَة في كَفِّ الرّيح

1

هَذي يَدي
مُلَطَّخَةٌ بِالحبْرِ
لَنْ يَسْمَعَني أَحَدٌ
وَأَنا أَصْرُخُ مِلْءَ الدَّهْشَةِ
في وَجْه الوُرَيْقاتِ
أَبْحَثُ عَنْ ظِلّي
وَأَنا أَرْمي المِرْآةَ
بِنَظَرات
تَطْفَحُ ذُهولاً وَحَيْرَةً

ظِلّي..
هُوَ الآخَرُ يَبْحَثُ عَنّي
نَلْتَقي
إذَا مَا أَصَخْتُ السَّمْعَ
لِوَشْوَشاتِ الفَراشاتِ.

«الظِّلُّ

ضَميرُ يَدٍ
تُلَوِّحُ
مِنْ مِساحَةٍ مَكْشوفَةٍ»

2

فِي دَمي
قُنوطُ صَباحَات شارِدَة
يَمْسَحُ اللَّيْلُ عَنْ جَبينِهَا
قَصائدَ شَاحِبَةً
لَوْ أَعْدُو مَطَرًا فِي دَمِ الرِّيحِ
أُطْفِئُ ضَجَرَ الفَراغِ
لِتَبْزُغَ حَيْرَةُ الرَّبيعِ.

الْتَقِطْ مَلامحَكَ
مِنْ رَمادِ الْأَقْنِعَةِ
لِسانُكَ
هَذَا الضَّاحِكُ فِي وَجْهِ الانْتِصارِ
يَلوكُ صَمْتي
عَلى مَرْأى
مِنْ مَكائِدَ قاسِيَةٍ .

« مِنَ الْمُحْتَمَلِ
أَنْ يَمْحُو البَياضُ
سَوادَ الخَطايَا
لَكِنْ
فِي حَدائِقِ أَرْواحهم
فَراشاتٌ مَيِّتَةٌ .»

3

يَخْطُرُ لي
أَنْ أَرْمي حِذائِي لِلرِّيحِ
إِنْ مَالَتْ جِهَةَ الشَّمْس
انْتَعَلَتْهُ..
لَرُبَّمَا يُسْعِفُنِي الحَظُّ
فَتَتَفَشَّى رائِحَتِي
فِي جَسَدِ النَّارِ

مَصْلوبَةٌ عَلَى حافَّةِ الانْتِظارِ
الرِّيحُ الَّتي تَرْمُقُني بِعُيونِها السَّوْدَاء
لَا تَضْحَكُ فِي وَجْهي
أُحَرِّكُ أَصابِعِي فِي اتِّجاهِهَا
تَبْتَلِعُني العاصِفَةُ.

«ثَمَّةَ
فِي انْكِسارٍ مَا
ضَوْءٌ خافِتٌ
يَغْمِزُ لِهَزيمَةٍ طَرِيَةٍ»

سَأنامُ كَسُلحْفاةٍ خَذَلَها الْخريفُ

عَلَى الرَّصيفِ المُحاذِي
لظلٍّ صَفْصافَةٍ
غَيْمَةٌ تتَأَوَّهُ
وَضبابٌ يَضْحَكُ

« تَلْويحَةٌ تَكْفِي
لِيَتَجَلَّى انْعِكاسُ وَجَعِك
على مَرايَا الأَحْزانِ »

شَفّافَةٌ أَسْنانُ الحُزْنِ
وهِيَ تَعُضُّ فَخِذَ اللَّيْلِ
يَسِحُّ الْأَرَقُ
مِنْ سَماءٍ حُبْلَى بِالْأَشْباحِ
على رِسْلِكَ أَيُّها التِّيهُ
لاَ تُفْشِ أَنْفاسَكَ
فِي مَمَرَّات
تَعْبُرُها المَلائِكَةُ
تَدورُ
وَأَدورُ مَعَكَ
كَثَوْرٍ هائِجٍ
لا يَلْمَحُ مِنْ سَوادِ طَيْفِكَ
إلاَّ حُمْرَةَ الْوَجَعِ.

إِلَى الثَّلاثَةِ أَعِدُّ
أُغَنِّي
تَقْتَرِبُ العَصافِيرُ مِنِّي
صَدْرِي..
كَمانٌ يَعْزِفُ
دُو.. رِي.. مِي..
أَتيهُ
لَمْ يَبْقَ فِي صَهيلِ اللَّيْلِ
أَثَرٌ
لِموسيقَى ضَجِرَة!

فِي طَرِيقِي إِلَى الغَابَة
اصْطادَتْنِي أَطْيافٌ ضَالَّةٌ
إِلَى وادٍ أَخْرَسَ
ساقَتْنِي
هُناكَ..
حَيْثُ اللَّيْلُ
يُبْحِرُ عَلى مَتْنِ
زَوْرَقٍ مَثْقوبٍ !

عَلَيَّ أَنْ أَنامَ
أنامَ طَويلاً
كَما تَفْعَلُ
سُلَحْفاتِي
الآنَ..

وَقُلْ لِلْعَتَمَةِ أَنْ تَأْويكَ..
أيُّها الظِّل!

1

ثَمَّةَ وَجَعٌ لَا يُخْفِي أَسْنانَهُ
وَهُوَ يَقْضِمُ قَهْقَهاتِنا
عَلَى مَسامِعِ لَيْلٍ تائِهٍ

2

اعْطِني يَدَكَ
وَهَيَّا نَعْبُرِ الْقَصائِدَ
قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَنا الْمَجازُ
بِتَنْهيداتٍ غامِضَةٍ

3

أُحَدِّقُ فِي الْمَرايَا
تِلْكَ الَّتِي تَصْطَفّ
عَلَى طولِ الطَّريقِ الْمُؤَدِّي إِلَيْكَ
لا أَرَاني
وَلا أَرَاكَ..

4

أَلْهو مَعَ ابْتِسامَة شارِدَةٍ
كُلَّمَا اقْتَرَبْتُ مِنْهَا
قَهْقَهَتْ..

5

لَمْ أَفْهَمْ بَعْد
كَيْفَ يُحَلِّقُ الضَّوْءُ بَعيدًا
وَفِي جَنَباتِ الطَّريقِ
فَراشاتٌ
تُلَوِّحُ لِلْعابِرينَ ؟ !

6

أَتَحَسَّسُ الظَّلامَ بِأَصابِعَ فَتِيةٍ
فِي رُكْنٍ مَا مِنَ الْعَتَمَةِ
تَقْبَعُ يَدِي
تِلْكَ الَّتِي تَرَكَتْ أَصابِعَهَا
فِي مُنْعَرَجاتِ قَصيدَةٍ شارِدَةٍ..

7

قَلْبِي
كَثِيرًا مَا يَحْتَجُّ
كَيْ لَا تَجْرِفَهُ الرِّيحُ بَعِيدًا
أَرْبِطُهُ إِلَى جِذْعِ قَصِيدَةٍ

8

أُرِيدُ أَنْ أَطِيرَ
لَكِنْ قَبْلَ ذَلِكَ
عَلَيَّ أَنْ أُنَظِّفَ جَنَاحَيْ
مِنْ هَزَائِمِ الْعُمْرِ

9

لِلْحُزْنِ عَيْنٌ ثالِثَةٌ
مَغْرُوسَةٌ فِي صَدْرِ
صَباحات ماطِرَة
كُلَّمَا تَأَوَّهَتْ غَيْمَةٌ
هُنَاكَ..
أَمْطَرَ الْوَجَعُ هُنا!

10

وَحيدَةً
كَزَنْبَقَةٍ تَهُزُّها الرِّيحُ
تُميلُها
وَلا تَنْحَنِي.

مَتاهاتٌ مُلْتَوِيَةٌ

1

مُتَطَلِّعًا إِلَى ذَيْلِ خَطايَا
مُتَلَفِّتًا إِلَى قَعْرِ ذاكِرَةٍ
بِها تَعَلَّقُ رَواسِبُ ماضٍ عَليلٍ
أَمام عَيْنَيْهِ
تَمُرُّ صُوَرٌ لَمْ يَهْزِمْها النِّسْيانُ
وَلَحْظَةُ المواجَهَةِ
صَفْعَةُ تأملٍ على خَدِّ الذِّكرى ..

2

تُشْهِرُ اللَّحظةُ انْتِصارَها أمامَ الحَقيقَةِ
يَتَرَنَّحُ الشُّرودُ في دُروبٍ مُظْلِمَةٍ
يَتيه..
وَعَلى رَأْسٍ مُتْعَبٍ
يقِفُ مُتَسَمِّرًا
كَتِمْثال نُصِبَ في سَاحةِ المَيْدانِ
عَقارِبُ الْوَقْتِ تَتَباطَأُ
لِتنالَ مِنْ ذاكِرَتِهِ الثَّائِرَةِ..

3

مُتأَبِّطًا ذِراعَ شْيطانِهِ
يَمْضي..
مُبَلَّلًا بِالهَزائِم
مُلَطَّخًا بِلَعْنَةِ الصُّوَرِ
في مَخْبَا الحرْمانِ
يُزاوِلُ طُقوسَ تَمَرُّدِهِ
تَحْرُسُهُ الجِنِّياتُ
وفي اللَّيْلِ
تَحْصُدُ نَوْمَهُ بِمِنْجَلٍ.

4

صَرَخاتُ صَمْتِهِ تَشُلُّ أطْرافَ راحَتِهِ
يُشَمِّرُ عَن اسْتِيائِه
وَتَحْتَ إِبْطِ الظَّلامِ
يَدُسُّ تَعاويذَ النَّوْمِ
عَبَثًا
تَتَحَرَّشُ الْأَنامِلُ بالجُفونِ
يَجْمَعُ اللَّيْلُ أنْفاسَهُ
يَنْثُرُها
يَتَفَشَّى الْعذابُ
وعَلَى كتِفِ الأَرَقِ
يَسْتَلْقِي العِتاب.

وَإنِّي لَأبتَلُّ بصُراخِكَ
أيُّها الجَبَلُ

1

حَتَّى لا يَنْتَهِي بي الأَمْرُ أنَا أيْضًا
إلَى غَيْمات لا تُفصِحُ عَنْ دُموعِهَا
أَجْلِسُ القُرفُصَاءَ
تَحْتَ شَجَرَةِ سِنْدِيانٍ كَبيرَةٍ
في غابَة
تُشعُّ بِالحَكَايا
ظِلِّي الشَّاهِدُ عَلَى ضُمُور الرَّبيعِ
في انحناءات مُعَتَّمَة
يَفْرِدُ ذِراعيْه لِوُرَيْقاتِ الخَريفِ
أَتَتَبَّعُ خِرافَ الخالَةِ العَجوزِ
مِنْ عَلَى التَّلَّة
وَبعَيْنَيَّ الهائِمَتَيْنِ
أُشَيِّعُ شَمْسًا
إلَى مَكانِها المُعْتادِ.

2

أَهازيجُ القَرَوِيِّينَ
وَهُم عَلَى ظُهورِ بِغالِهِم
مَواويلُهُم المَمْزوجَةُ بِعَرَقِ صَباحاتٍ قَائِظَةٍ
لَا تُساعِدُهُم عَلَى صَقْلِ
قَيلُولَةٍ
زَالَ نَعيمُها.

«نَمْ أيُّها الْجَبَلُ
نَمْ..
لأَحْمي مَا تَبَقَّى
مِنْ انْحِرافِ الطَّريقِ.»

3

مُحاصَرَةٌ بالأُمْنِياتِ

أَرْعَى سَنابِلَ عُمْرٍ يَمْضِي

في جَبَلٍ

كُلَّمَا اخْضَرَّ قَلْبُهُ

شَحُبَتْ يَدَاهُ

مُتَواطِئَةٌ مَعَ خَرِيفٍ مُسْتَعْجَلٍ

أَبْنِي لي حُلُمًا

مِنْ غَمَزاتِ الرِّيح

تُغيظُني الغَيْماتُ

إذ تَنْثُرُ رَمادَها

في سَماءٍ لاَ تَضْحَكُ

كَيْفَ أَصُدُّها عَنِّي

تِلْكَ التَّلْوِيحَاتُ اللَّامِعَةُ

عَلَى جَبِينِ الخِذْلانِ ؟

4

شاردَةً

أَتَّكِئُ علَى ظِلٍّ

مكتومة أَنْفاسُهُ

يَداي خَاوِيَتَانِ

أَتَوَغَّلُ عَميقًا فِي صَدَى الأَصْواتِ مِنْ حَوْلي

أَتَشَظَّى كَحُلُمٍ مَضى عَلَيْهِ الزَّمانُ

وَلَمْ يَتَحَقَّقْ..

أُحَدِّقُ ..

كَسَيِّدَة بَدينَة

عَلَى كُرْسِيٍّ مُتَحَرِّكٍ

مريضةً ومهملةً

فِي مُسْتَشْفَى عَام.

الفهرس